

المؤسسة السورية للدراسات وأبحاث الرأي العام

مؤسسة علمية بحثية مستقلة وغير حزبية، تُعنى بالدراسات السياسية والإعلامية والاستراتيجية في سورية وبأبحاث الرأي العام حول تطلعات وآراء الشعب السوري في مختلف مجالات الحياة العامة، لبناء قاعدة معرفية وعلمية تساهم في ردم الهوة بين صناع القرار (أشخاص - مؤسسات) وبين الجمهور والربط بينهم، لتحقيق التماسك المجتمعي.

قيم المؤسسة ومبادئها

تلتزم المؤسسة بجملة من القيم المهنية والأخلاقية، هي:

- معايير حماية الحقوق والحفاظ على سرية المعلومات وخصوصية الأفراد والمؤسسات
- بناء الثقة المتبادلة بين العملاء والمؤسسة، وتحقيق الشفافية في التعامل على جميع المستويات.
- مراعاة قيم المجتمع السوري الدينية والثقافية.
- الابتعاد عن أي صيغ أو أساليب تُحرض على العنف أو تنتهك مبادئ المساواة أو العدالة أو تحط من كرامة الإنسان أو تحث على التمييز.
- العمل بموضوعية ومهنية وسياسة منفتحة واعية تخدم القضايا الوطنية السورية.

التسييس والتدليس العلمي ومحنة الشيخ البوطي [محمد خير موسى أنموذجًا]

إعداد: د. علاء الدين آل رشي - كاتب وباحث سوري
مدير المركز التعليمي لحقوق الإنسان في ألمانيا - عضو مؤسس لمركز علم وسلم

تاريخ النشر: ٢٠٢٢/١٢/٢٦

أخيراً تنفست الصعداء واستبشرت خيراً وسرّ خاطري إثر إعلان السيد محمد خير موسى عن كتابه [البوطي شخصيته ومواقفه دراسة تحليلية لشخصيته ومواقفه وخلفياتها من الحكام والقضايا والثورات] وحدّثت نفسي متفائلاً:

لا شكّ أنّ هذا الكتاب يسهم في استعادة التوازن في قراءة الشيخ البوطي بسياق الحدث والزمن، وفي إطار الصورة شبه الكاملة اليوم، لا سيما وأننا تجاوزنا مراحل زمنية وتاريخية تتيح لنا فرصة الحكم على الواقع بمعزل عن الصدمة الاجتماعية والتأثّر العاطفي، وانطلاقاً من هذه المعطيات سعيت جاهداً في الحصول على نسخة من الكتاب، وما إن كان بين يدي حتى شرعت في قراءته، ولا أبالغ في القول إن أعلنت:

أني صدمت بعد مطالعته، وذلك لفقد الكتاب مقومات البحث العلمي الرصين وفي مقدمتها (الأمانة العلمية والاستقصاء الشامل) نعم لقد خلا الكتاب من الصدق!

كان حشداً من التخمين والحدس والأراجيف.

والكذب بالطبع ليس بالضرورة هو عدم قول الحقيقة فحسب، بل إن قول نصف الحقيقة يُعد كذبا ممنهجاً على طريقة؛ ويل للمصلين وهو ما سيلحظه الباحث عند قراءته لهذا الكتاب.

لقد كان واضحاً:

١. افتقار الكاتب إلى التحري والكد والمتابعة.

٢. الاكتفاء ببعض التفريغات النصية المخلة والموجزة لخطب ودروس الشيخ البوطي دون تتبع. وليت حضرة المؤلف الكريم التزم بكلام الشيخ البوطي في الحوار المرئي الذي جعله شاهدا على كلامه المدلس!

٣. يبدو أنّ المؤلّف لم يستطع الخروج من جلباب التوجهات السياسية والشعبوية، فمن الواضح أنّه كان أسيرها، كانت تحليلاته وتركيباته تقفز بجرأة مراهق دون احترام لعقل القارئ أو توقير لأمانة وأدوات البحث العلمي ومناهجه، لم تسلم كلماته من التأثر بهوى النفس والاستعراض المتماهي مع ما يريده الجمهور! وهو ما حذر منه د. البوطي في أحد الحلقات التي حللها المؤلّف بكتابه، حيث حذّر من خطورة التأثر بأحد مهما علا شأنه، لكنّ الظاهر أن المؤلّف الكريم خضع لما يطلبه الجمهور ليتأثّر من حيث يدري أو لا يدري بجهات سياسية بدل أن يتتبّع مواقف البوطي بدقّة! ناسياً أنّ التعالم نظير الجهل، والتساليس الثقافي صنو التشاغب، ضوضاء بلا فائدة! إنّ تكريس هذا السلوك البحثي يؤدي بنا إلى خلق صنفٍ من النخب الدينية الثقافية هي أشبه بعالم دون علم وسياسي بلا سياسة!



والغريب أنّ السيد المؤلف ادّعى أنّه من خواص تلامذة الشيخ البوطي، إلّا أنّ أقارب الشيخ البوطي نفوا أي خصوصية للسيد المؤلف مع الشيخ البوطي، وكان ذلك خلال مقابلات أجريتها مع أهل الشيخ مباشرة.

لا يخفى على باحث وقارئ محترف أنّ الكاتب لم ينتهج المنهج العلمي في توصيف الواقع وعرضه ونقله! ولا شكّ أن مسألة النقل لا تحتاج لقدرات فكرية في التحليل والتركيب، هي فقط تحتاج لصدق وأمانة لا أكثر، أمّا مسألة التحليل فهذا أمر يتمايز به باحث عن باحث وتحكمه قدرات ذاتية لا نريد أن نحمّل السيد المؤلف وزر إمكانياته المتواضعة في التحليل والتركيب والاستنباط الواضحة في تحليل شخصية البوطي انطلاقاً من مواقفه، إلّا أنه بالمقابل لا يمكننا أن نتجاوز عن شطحات المؤلف في مسألة الصدق والأمانة أثناء النقل، وهذا ما سنوضحه في سوق أحد الأمثلة المتعلقة بالنقل والتحليل والاستنباط بالطبع، لأن المجال لا يتسع لسرد كافة الأمثلة والنماذج التي تعكس البدائية في التحليل واستنباط الأحكام انطلاقاً من المواقف التي لا صلة لها بالأحكام أبدا! لكن أعد القرّاء الأكارم أنّ الرد سيكون قريباً بكتاب متكامل ومنصف نوضّح به عقلية الشيخ البوطي بدراسة علمية وشهادات معاصرة. إذن نحن أمام احتمالين يفسران سلوك السيد محمد خير موسى: إمّا إن الكاتب يجهل أصول البحث، وهذا يعني أنّه ليس جديراً بالكتابة عن الأعلام، أو أنّه تقصّد أن يُغفل جوانب هذه الشخصيّة، وتقصّد أن يطوي الأدلة التي تُنبي عن هذه الشخصيّة، وبالتالي فإن هذا الكاتب غير أمين على المنهج العلمي، وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدلّ على أنَّ وراء الأكَمَةِ ما يظهر لمن يُحسن رصدَ هذا الكاتب!

إن انتزاع الصدق من كتاباتنا، يعني خلو البحث العلمي من أهدافه التي في مقدمتها نشدان الحقيقة وتقديمها بأمانة علمية.

الكذب والخيانة العلمية ومحنة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في نموذج ما كتبه أ. موسى

جاء في ص ٢٤ تحت عنوان طباع وسمات نفسية خلف المواقف السلوكية؛ أن من أهم الطباع التي جبلت عليها شخصية الشيخ البوطي حسبما وصفها أ. موسى ب[الاعتداد العلمي والفكري غير المتناهي بالذات] مؤكداً في الصفحة التي بعدها (كان الدكتور البوطي شديد الاعتداد بنفسه علميا وفكريا فيرى أنه ليس تابعاً لمدرسة فكرية أو تيار علمي بل هو نسيج وحده، فلا ينتسب لأحدٍ من الأقدمين أو المعاصرين، وإنما علاقته بالعلماء والفقهاء والأدباء هي علاقة إعجاب بما يقدمونه ليس أكثر).

وقد استفتح السيد موسى للتأكيد على ذلك بتفريغ مدلس وعمل محرف لا يتناسب مع البحث العلمي حيث اقتطع الآتي من جواب (الشيخ يسأله المذيع : من هي الشخصية التي كان لها الأثر البالغ في حياتكم"؟ فيأتي جوابه على الفور: " أخشى أن أفاجئكَ إن قلتُ: لا أعتقد أن هنالك من أثر في حياتي، هنالك من أعجبتُ بفكره العلمي، هنالك من أعجبتُ بمنهجه المعرفي، هنالك من أعجبت بحمايته للحقائق الكونية، أما هل هنالك من أثر في؟ أعتقد أنني مهما بحثتُ فلن أجد من أثر في".

ثم يحاول أن يبرر ذلك فيقول: "عملية التأثير لا تتجه إلى عقل المتأثر بل تتجه إلى نفسه، وعملية التأثير مهما كانت وسيلة المؤثر أمر غير مشكور فهو نوع من الخداع في ماله؛ نوع من التدجيل المغناطيسي") ص ٢٤

أقول: لقد اعتمد الكاتب في تقييمه على مقابلة متلفزةٍ مع الشيخ البوطي وهي مقطعٌ مُجتزأ من حوار طويل متجاهلاً ما جاء في باقي المقابلة على لسان الشيخ وهو يستكمل الموضوع!

وإليكم النص كاملا للسؤال والجواب، ويمكنكم المقارنة وسأضع رابط الحلقة:

المذيع: لو بدأت معكم بالشخصيات التي كان لها الأثر البالغ في حياتكم.

الشيخ البوطي: أخشى أن أفاجئك إن قلت لا أعتقد أن هنالك من أثر في حياتي، هنالك من أعجبت في فكره العلمي وهناك من أعجبت بمنهجه المعرفي، وهنالك من أعجبت بحمايته للحقائق الكونية، أما هل هنالك من أثر في؟ أعتقد إنني مهما بحثت لن أجد من أثر في.

للسبب التالي، التأثير يتجه من الشخصية وهيمنتها إلى النفس لا إلى الفكر.

يقال: فلان ذو شخصية مؤثرة له شخصيته التي يستطيع التأثير بها على الآخرين، لأنه ربما كان لوناً من ألوان التنويم المغناطيسي، أو ربما كان بوسائل نفسية أخرى، هذا التأثير الذي يأتي من شخصية المؤثر تتجه إلى عقل المؤثر لا تتجه إلى نفسه. وعملية التأثير من شخصية مهما كانت وسيلة التأثير أمر غير مشكور. نوع من الخداع، نوع من التدجيل.

ومن ثم الإنسان الذي تأثر يكون ضحية لهذا الذي أثر فيه، والسبب كما قلت لك يقال فلان ذو شخصية مؤثرة، وربما كان جاهلا، وربما كان هذا المؤثر لا يتمتع بزاد من الثقافة، لكنه ذو شخصية مهيمنة بوسيلة ما؛ بسبب ما.

نعم ولحسن حظ هذا المؤثر يكون الشخص الآخر المتأثر ضعيف الشخصية، وبالتالي سرعان ما يتأثر هذا الانسان بالشخصية القوية، فيقال فلان متأثر بالشخص الفلاني بالمزية الفلانية في التأثير الشخصي.

المذيع: لذلك أنت تنصح دكتور أن يكون الإنسان ابن ذاته قبل أن يتأثر بهذا أو بذاك.

الشيخ البوطي: أنا أنصح الذين يحاولون أن يؤثروا ألا يستعملوا شخصياتهم النفسية في التأثير، هذا نوع من ألوان الدجل المغناطيسي. وأنصحهم إذا أرادوا أن يؤثروا بالإقناع العقلي، بالاعتماد على الزاد العلمي، وهذا لا يسمى تأثير أو إنما يسمى إقناعا.

المذيع: لكن الإنسان المسلم أليس بحاجة إلى شيء مادي يتعلق به من أجل ربما الله كما ذكرتم أنتم في كتاب فقه السيرة النبوية بأن الكعبة المشرفة من الاعجاز العلمي بأن هذا شيء مادي تعلق به لكن واجب على الانسان أو ربما يقول ويعتقد بأن هذا الشيخ أو هذه الشخصية ربما توصلني أو تقربني إلى الله هل هذا المعتقد صحيح؟

الشيخ البوطي: ما يتعلق بالكعبة أو ما يتعلق بآثار فيها بصمات من البركة والخير هذا لا نتحدث عنه.

أنت تتحدث عن الشخصيات وأنت تسألني عن الشخصيات التي أثرت في، لا التي أقنعتني.

الواقع أن صلة الشخص بالشخص ينبغي أن تكون عبر العلم وعبر الفكر في هذه الحالة، تكون هناك حماية ضد الدجل وضد الهيمنة الخرافية من أشخاص كثيرين، كانوا ومازالوا يهيمنون على أشخاص ضعيفي الشخصية عن طريق هيمنة شخصية نفسية يمارسونها وربما يمرون بتجارب وبدورات نعم .



هذه الطريقة ينأى عنها الإسلام ويحذر منها؛ ينبغي أن نعلم ذلك.

هنالك وسيلة أخرى مما بين الأشخاص الذين يسري فيما بينهم التعاون الذين سخرهم الله لانتشال آخرين من أودية الضلال .. ماهي هذه الوسيلة ؟

وسيلة الاعتماد على العقل، ومن ثم الاعتماد على العلم وضوابط العلم، فلو سألتني أنت من هم الذين أعجبت بمخاطباتهم ومحاوراتهم العلمية ومن ثم أقنعوك؟

لأجبت: فلانا وفلانا وفلانا.

لكن لو سألتني من هم الذين أثروا فيك يعني أثروا في نفسي، وليس في عقلي وفكري، لقلت لك حتى الرسل والأنبياء بعثوا ليحاوروا الناس بالعقل وبالفكر، ولم يأذن لهم الله أن يطووا مما بينهم وبين الناس الحوار العقلي والعلمي الذي أرسلوا به ويجعلوا من هيمنتهم الشخصية سببا للتأثير على كياناتهم النفسية. في هذه الحالة يضيع الفارق بين المدجلين وبين الذين بعثوا لينتشلوا الناس من الباطل ويصعدوا بهم ذروة الحق.

ثم يشرع الدكتور البوطي في ذكر من اقتنع بهم واقتفى آثارهم والملفت.

فيقول: كثيرون هم الذين تابعت دراساتهم وعلومهم و تزودت من علومهم بالكثير الكثير. انتهى.

وبهذا النموذج البسيط المتعلّق بالنقل أكثر من كونه يتعلّق بالتحليل، يتضح من نص الكتاب الموجز الذي ساقه المؤلف الاقتطاع المحرف والمخل لترويج قاعدة هوائية للمؤلف، وذلك جراء تأثره بالاحتقانات العامة والانفعالات السائدة والتلبيس والتدليس ووضع القواعد المسبقة وخيانة الأمانة العلمية.

فارق كبير بين مراد وقصد الدكتور البوطي وبين التوظيف المسيس لمحمد خير موسى!

لا أبالغ إن قلت أنّ ما تفضّل به العلامة الشيخ البوطي رحمه الله في الحلقة يعد من أدق ما يقال في هذا المجال، بل بمنزلة دستور شرف وبوصلة وعي لكل طالب علم أو عالم يخاف الله ويسعى لتسييد الفكرة لا الشخص!

من الواضح أنّ البوطي كان يحارب صنمية الفكرة.

لم يذكر الشيخ البوطي البتة أنه نسيج وحده، كما أن البوطي أراد التفرقة بين كلمة (تأثير) والتي قد تكون من شخصية بلا قيم وبلا علم، وهو ما نراه اليوم من تأثر الشباب بشخصيات لا عقل لها ولا خلق وبين الاعجاب المبني على الاقتناع.

فقد أوضح الشيخ البوطي أنَّ كلمة (تأثير) تحمل جانباً نفسيّاً يحمل على السيطرة والهيمنة بعيداً عن الجانب المتعلق بالحقّ المشفوع بالقناعة العقليّة، وهذا ما أراد الشيخ البوطي إن يوضّحه للمذيع، ومن يتابع الحوار يجد ذكر أسماء العلماء الذين كان لهم دور في قناعاته، ولكنّه عاد بعد عدّة دقائق وتطرّق إلى اسم شيخه الشيخ حسن حبنّكة رحمه الله ، ثمّ ذكر الشيخ الغزالي والنورسي. ولو عدنا إلى كتاب الشيخ البوطي (شخصيّات استوقفتني) لوجدنا فيه ما يُسقط فكرةَ الكاتب محمد خير والتي اتهم بها الشيخ البوطي. ولو عاد الكاتب إلى مقابلاتٍ متلفزةٍ للشيخ البوطي لوجد الكثير مما يسقط هذه الفكرة وعليه أقول: لقد خان



الكاتب الأمانة العلمية واستحضر الهوى النفسي وتأثر بهوى العامة ورحم الله ابن الجوزي عندما قال: ما أبقى خفق النعال وراء الحمقى من عقولهم شيئاً [١].

وهكذا نجد أن الكاتب جانَبَ الصوابَ في دراسته "العلميّة" لشخصيّة الدكتور البوطي إذْ المنهجية العلمية في دراسة الشخصيات توجب اقتفاء كل أثر للشخصية التي يراد تقييمها من خلال كتابات صاحبها ومن خلال ما صدر عن لسانه في كلّ ما قاله (ونحنُ في زمن المقابلات المُتلفزة). ولو أن الكاتب محمد خير أنصفَ الشيخ البوطي، لاستمع أقلّ الإيمان إلى باقي المقابلة التي تحدث فيها الشيخ عن الأشخاص الذين كانوا وراء قناعاته فيما وصل إليه من فكرٍ ومن مكانةٍ علميّة!

طبعاً والأحرى به أن لا يقف الباحث عند مقابلة واحدة، بل يجب أن يقرأ في تراث البوطي كاملاً إذا أراد أن يطلق حكماً على شخصيته، لا أن يكتفي بمقابلة أو يقتطع جزء من مقابلة حتى! فإنّ التفريغ المسيس والذي اعتمد عليه الكاتب لدعم حكمه المسبق علي البوطي فليس من العلمية في شيء.

مؤسف أن يستحضر الكاتب قناعاته وأحكامه لنبش قبر عالم وشيخ بمكانة البوطي! ليحاول هؤلاء الصعود على أكتافه في مشهد هستيري وشعبوي بعيداً عن العلمية والخلق. والمضحك المبكي أنّ جمهور السيد المؤلف الذين تهجموا عليه أثناء إعلانه عن كتابه، كان تهجمهم انطلاقاً من ظنّهم أنه يمتدح البوطي، فهم كعادتهم يكتفون بقراءة العنوان! ومن باب إنصاف المؤلف أقول إلى هؤلاء بأسف: عودوا إلى رشدكم فلن تجدوا ما يعمق هيجانكم ووهمكم مثل هذا الكتاب المفتري غير الحيادي ابتداءً من غلافه الذي انتقى صورة ليست حيادية للشيخ البوطي وهو مغمض العينين، مرورا إلى امتناع المؤلف عن أي ترحم على الشيخ البوطي وصولا إلى التلفيق والتشويه الذي يعج الكتاب به!

---

[١] صيد الخاطر بعناية أ. حسن السماحي ط٣ (دمشق دار القلم ٢٠١٢) ص ٤٨